الدمشقيين سماعاً، والغرباء إجازة، وعَمَّر حتى ألحقَ الصِّغارَ بالكبار. أخبرنا عنه جماعة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين [وخمس مئة][1]

والغلاء بمصر مستمر، ثم تناقص لاستقبال جُمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها، وأقلع في آخرها، ولله الحمد.

قال أبو المظفر: فيها[2] برَّز العادل إلى القُصَير طالباً حلب، وكان الأفضل بحمص عند شيركوه[2]، وهو أخو زوجته سفري ابنة ناصر الدين محمد بن شيركوه الكبير، فجاء إلى عمه العادل، فالتقاه عند ثنيَّة العقاب، فأكرمه وعَوَّضه عن مَيَّافارقين سُمَيْساط وسَرُوج، وقلعة نجم، وقرايا في المرج ومِصْر، وتسلَّم الظاهر فامية من ابنِ المقدَّم، ونزل العادل على حماة، فصالحه الظَّاهر، ورجع العادل إلى حمص.

وجاءت في شعبان زَلْزلةٌ عظيمة[3]، فشققت قلعة حمص، ورمت المنظرة التي على القلعة، وأخربت حِصْنَ الأكراد، وتعدَّت إلى جزيرة قبرس، وامتدَّت إلى نابُلُس، فأخربت ما بقي.

وقال العز بن تاج الأمناء: هذه الزلزلة العظمى التي هدمت بلادَ السَّاحل: صور، وطرابُلُس، وعِرْقة، وشعَّثتْ كثيراً من البلاد الإسلامية الشمالية. ورمت

= وقد وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، والصواب وفاته سنة (٥٩٨ هـ) كما في مصادر ترجمته.

قال المنذري في «التكملة»: وسئل أبوه أبو إسحاق إبراهيم: لم سموا الخشوعيين؟ فقال: كان جدنا الأعلى يؤم بالناس، فتوفي في المحراب، فسمي الخشوعي.

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٢-٢) ما بينهما ليس في (ع) و(ك) و(س).

(٣) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء.

بدمشق رؤوس منائر الجامع، وبعض شراريفه من شماله، فقتلتْ رجلاً مغربياً بالكلَّاسة، ومملوكاً تركياً لرجل صيرفي ساكناً في دَرْب السُّمَيْساطي عند تنفُّسِ الصُّبْح من يوم الاثنين السَّادس والعشرين من شعبان، الموافق للعشرين من آب، وأعقبها زلزلة خفيفة في ضحوة الغد.

قال أبو المظفر: وفيها شَرَعَ الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة شيخ المقادسة رحمه الله في بناء المسجد الجامع بالجبل، وكان بقاسيون رجل فاميٌّ يقال له أبو داود محاسن، فوضع أساسه، وبلغ قامة، وأنفق عليه ما كان يملكه، وبلغ ابن زين الدين مُظَفَّر الدين صاحب إرْبل، فبعث إلى الشيخ أبي عمر مالاً فتمَّمه، ووقف عليه وقفاً. وبعد ذلك أراد ابنُ زين الدين أن يسوقَ الماءَ إليه من بَرْزة، وبعث ألف دينار لذلك. فقال الملك المعظم عيسى بن العادل: طريق الماء كلها قبور، فكيف يجوز أن تنبش عظام المسلمين! اشتروا بغلاً، واعملوا مداراً[1]، وبالباقي مكاناً قِفوه عليه، ولا تؤذوا أحداً. ففعلوا[2].

وحج بالنَّاس من العراق وجه السَّبُع، ومن الشَّام خشترين الهكَّاري.

وفيها توفيت بنفشا ابنة عبد الله، جارية المستضيء[3].

وكانت كريمةً صالحة، كثيرةَ الصدقات والصِّلات، عمرت الرُّبُط والمساجد والجسر ببغداد، وتصدَّقت بأموالٍ كثيرة على العلماء والفقراء والمساكين، وهي التي اشترت دار الوزير ابن جَهِير بباب الأَزَج، ووقفتها على الحنابلة، وفوَّضت نظرها إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي.

وهي التي أشارت على المستضيء بولاية الإمام النَّاصر، وكان في عَزْمه أن

---

(١) المدار: هو الذي يدور على البغل لتستخرج منه المياه إلى حوض تتجمع فيه. انظر «غوطة دمشق» لمحمد كردعلي: ص ٨٩.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٨ هـ).

(٣) لها ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٧٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٢٢، جهات الأئمة الخلفاء لابن الساعي: ١١١ ـ ١١٥، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٩٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ).

يولي الخلافة ولده الأمير أبا منصور، فرأى النَّاصر لها ذلك، فلما ولي الخلافة أنزلها في الدار التي كانت بها والدته، وأحسن إليها. ولما توفيت تولى أمرها والدةُ الخليفة، وجهزتها أحسن جهاز، ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي، وذلك في ربيع الأول.

وفيها توفي أبو الثناء، حمَّاد بنُ هبة الله بن حماد التَّاجر، الحَرَّاني[١].

٣٠ ولد سنة إحدى عشرة وخمس مئة ـ وهي السنة التي ولد فيها نور الدين محمود بن زَنْكي رحمه الله[٢] ـ وسَمِعَ الحديث ببغداد، ومِصْر، والإسكندرية. سمع بمصر أبا محمد بن رفاعة السَّعدي، وبالإسكندرية الحافظ أبا طاهر السِّلَفي، وببغداد ابن السَّمَرْقندي وغيرهم. وحدثنا عنه جماعة، ومات بحرَّان في ذي الحِجَّة، وأنشد لنفسه:

تَنَقُّلُ المَرْءِ في الآفاقِ يُكْسِبُهُ ... محاسناً لم يكن فيها ببَلْدَتِهِ
أما تَرَى بيذقَ الشِّطْرنج أكسبَهُ ... حُسْنُ التَّنَقُّلِ فيها فَوْقَ رُتْبَتِهِ

وفيها توفي هبة الله بن الحسن بن المظفر، أبو القاسم الهَمَذَاني[٣]، ويقال

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٣٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٢، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٥١ ـ ٥٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١، المقصد الأرشد: ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥، المنهج الأحمد: ٤/ ٤٣ ـ ٤٤، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٥، وانظر تكملة إكمال الصابوني: ص ٢٥٩، ٣٤٧.

(٢) انظر «كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٧.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤١٠ ـ ٤١١، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٤١٢ ـ ٤١٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٦، ميزان الاعتدال: ٤/ ٢٩٢، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، الوافي بالوفيات: ٢٧/ ٢٦٢ (وفيه وفاته سنة ٥١٣، وهو خطأ، هي سنة ولادته)، توضيح المشتبه: ٣/ ٣٠٠، لسان الميزان: ٨/ ٣٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٨.

له ابن السِّبْط، والسبط هو جَدُّه المُظَفَّر، كان سِبْطاً لأحمد بن علي بن لال الفقيه الهَمَذَاني.

ولد هبةُ الله في سنة عشر وخمس مئة، وهو محدِّث، ابن محدِّث، ابن محدث، وكانت وفاته في باب المراتب ببغداد في المحرَّم، ودفن بالرَّيَّان[١].

سمع أبا القاسم ابن الحُصَين، وقاضي المارَسْتان، وابن السمرقندي، وأنشد لغيره:

إذا الفتى ذَمَّ عيشاً في شَبِيْبَتِهِ فما يقولُ إذا عَصْرُ الشَّبابِ مَضَى
وقد تعوَّضْتُ عن كلٍّ بمشبهه فما وَجَدْتُ لأيامِ الصِّبا عِوَضا[٢]

وفيها توفي بدمشق خطيبُها الدَّوْلعي الكبير[٣]، الملقب بضياء الدين، واسمه أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التَّغْلبي، والدَّولعية قريةٌ من قرى المَوْصِل.

ولد سنة ثماني عشرة وخمس مئة[٤]، قبل جمال الدين ابن الحَرَسْتاني بسنتين[٥]، وقدم بغداد، فتفقَّه بها على مذهب الشَّافعي رضي الله عنه، وسمع الحديث، ثم قدم دمشق فاستوطنها، وصار خطيبها، ودرس بالزَّاوية الغربية من جامع دمشق المنسوبة إلى الشيخ نَصْر المقدسي رحمه الله.

---

(١) الريان: محلة كانت مشهورة ببغداد بالجانب الشرقي، بين باب الأزج وباب الحلبة والمأمونية، انظر «معجم البلدان»: ٣/ ١١١، والتكملة للمنذري: ٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) في (ك) و(ع) و(س) جاءت ترجمة الشيخ ابن غليس عقب هذه الترجمة.

(٣) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٤٨٦، الكامل: ١٢/ ١٧٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ١٨٧ ـ ١٨٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١.
وزوجه الشيخة أم الفضل زينب ابنة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسماعيل القيسي، كانت محدثة، وقد توفيت سنة (٦١٠ هـ)، انظر بعض مروياتها في «مشيخة ابن البخاري»: ٥٠١ ـ ٥١٠.

(٤) ذكر في مصادر ترجمته أنه ولد سنة (٥٠٧هـ).

(٥) انظر ص ٢٩١ من هذا الجزء.

وكان متزهِّداً، حَسَنَ الأثر، حميد الطَّريقة، مهيباً صارماً في قول الحق، سمع «جامع» الترمذي من أبي الفَتْح الكَرُوخي، و«كتاب السُّنَن» للنَّسائي من أبي الحسن علي بن أحمد اليَزْدِي، وسمع من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر، والقاضي أبي سَعْد ابن أبي عَصْرُون، وقرأ عليه الفِقْه وغيرهم. وطلبه [1]شرف الدين بن [أبي][2] عصرون أن ينوب عنه في القضاء، فأبى، فاستناب جمال الدين ابن الحَرَسْتاني[1].

وكانت وفاته في يوم الثلاثاء ثالث عشر[3] ربيع الأول، ودفن بمقبرة باب الصَّغير في قبور الصَّحابة رضي الله عنهم، وقبره ثَمَّ مشهور يزار. وكانت جنازته مشهودة، امتلأ لها جامع دمشق ـ مثل صلاة يوم الجمعة ـ المسقَّف، والصحن، والرواقات، وخارج الأبواب.

حدثنا عنه والدي رحمه الله، وابن أخيه جمال الدين محمد الذي تولى الخطابة بعده وغيرهما.

وأخبرني القاضي الخطيب عماد الدين ابنُ الحَرَستاني أنَّ قاضي القضاة محيي الدين يوم مات الخطيب حَضَرَ إلى الجامع، وقدَّم ولده الزكي الطَّاهر، فصلى بالنَّاس صلاةً واحدة، وأراد أن يأخذ المنصب له، فمضى جمال الدين الدَّوْلعي إلى فلك الدين أخي السلطان، فأخذ له من أخيه توقيعاً بمنصب الخطابة مكان عمه، فبقي فيه سبعاً وثلاثين سنة على ما سنذكره في سنة وفاته، وهي سنة خمس وثلاثين وست مئة[4].

(١ ـ ١) ما بينهما جاء في (ك) و(ع) و(س) عقب قوله: وابن أخيه جمال الدين محمد الذي تولى الخطابة بعده وغيرهما.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا، وربما كتبه كذلك اختصاراً.

(٣) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: ثاني عشر.

(٤) انظر ص ٤١ من الجزء الثاني.

وفيها[١] توفي المُؤَيَّد أسعد بن القلانسي[٢] بدمشق فجأة رابع عشر ربيع الآخر.

وفيها توفي حسام الدين بشارة[٣] الذي كان صاحب بانياس قبل شركس في السَّادس والعشرين من ربيع الآخر[١].

وفيها توفي الشيخ علي بن محمد بن غُلَيس اليمني الزَّاهد[٤]. كان مقيماً بكلاسة جامع دمشق في شرقيها، وتوفي يوم الاثنين سابع عشر [شهر][٥] رمضان سنة ثمانٍ وتسعين وخمس مئة، ودفن بمقبرة باب الصَّغير قبلي الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره بغرب.

وحُكي عنه كرامات جليلة، حكى عنه جماعة من المشايخ السَّادة مثل شيخنا أبي الحسن السَّخاوي، وأبي القاسم الصِّقِلِّي، وأبي البركات ميمون الضَّرير، وأبي الحسن بن أبي جعفر، وغيرهم.

أخبرني أبو علي حسن بن [أبي][٦] عبد الله بن صدقة الصِّقِلِّي، الشَّيخ الصَّالح وفقه الله قال: سَمِعْتُ شيخنا السَّخاوي يقول: سَمِعْتُ ابن غُلَيس يقول: كنتُ مسافراً مع قافلةٍ، فرأيتُ في المنام كأن سَبُعاً اعترضهم، فقطع

(١ ـ ١) ما بينهما جاء في (ب) عقب ترجمة ابن غليس وفي (ك) و(ع) و(س) عقب ترجمة الدولعي.

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠١، الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٩ ـ ٤٠، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٤.

(٣) سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٦٠، ٤/ ٦٣ ـ ٦٤، ٢٢٥، ٣٦٢، ٤٤٩، ٤٨٤.

(٤) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٤/ ٤٦ ـ ٤٩، التكملة للمنذري: ١/ ٤٣٣، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ١١١ ـ ١١٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٦) ما بين حاصرتين من مصادر ترجمته، وكان من جلة تلاميذ علم الدين السخاوي، ولد سنة (٥٩٠ هـ)، وتوفي سنة (٦٦٩ هـ). له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٤٥٨، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١٣٤١ ـ ١٣٤٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢٩١، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٩٢، غاية النهاية: ١/ ٢١٩، شذرات الذهب: ٥/ ٣٢٨.

الطَّريق عليهم، فوقفوا حائرين، فتقدَّمتُ إليه، وقلت له: يا كلب الله، أنت كلب الله وأنا عبد الله، فاخْضَعْ واخنع لمن سَكَنَ له ما في السموات والأرض، وهو السميع العليم. فذهب، وانفتحت الطَّريق للقافلة. ثم انتبهت، فسرنا قليلاً وإذا بالقافلة قد وقفت، فسألتُ: ما الخبر؟ فقيل: السَّبُع على الطريق. فتقدَّمت إليه، وهو مقعٍ على ذنَبه، فقلتُ ذلك الكلام، وتقدَّمت إليه، فأدخلت يدي في فمه، وقلبت أسنانه، وشممتُ من فِيْه رائحةً منتنة. قال الشيخ السخاوي: فقلت له: إنه يأكل اللحم وما يتخلَّل! قال: وأدخلت يدي بين أفخاذه فقلبت خصييه، وإذا هما مثل خصيي القِطِّ.

قال: وأخبرني الشيخ ميمون الضَّرير عن صاحبٍ لابن غُلَيس خصيصٍ قال: أمرني بإيقاد السِّراج ولم يكن به زيت، فأوقدتُ الفتيلة، فَوَقَدَتْ، ثم أمرني في الليلة الثانية، فأوقدتها، فوقدت، ثم أمرني في الليلة الثالثة، بإيقادها. فقلت: إنه لا زيت في السِّراج. فقال: وأيش فضولك في هذا، لو سكتَّ لكان يَقِدُ أبداً. أو كما قال.

وأخبرني الشيخ أبو القاسم الصِّقِلِّي قال: مات فرس لابن غُلَيس، فحزن عليه كثيراً، فقيل له: كم تحزن عليه؟! غيره يقوم مقامه. فقال: إنه فرسٌ صالح، كان معي في سفري بالعراق، فآواني الليل مع جماعةٍ[1] إلى قرية، وكانت ليلةً باردة ذات ريح ومطر، فلم يقدر لنا مكان نأوي إليه إلا موضع صغير، فقلت لأصحابي: إن تركنا الفرس خارج البيت هلك بالبرد، وخفنا عليه، وإن أدخلناه معنا خفنا من بوله وتلويثه الجماعة لصِغَرِ المكان، فتقدَّمتُ إليه، وقلت له: نحن
٣١ ندخلك معنا بشرط أن لا تفعل ما يتأذى به الجماعة من بولٍ وغيره. ثم أدخلناه، فبات ليلته لم يتحرك بحركةٍ يتأذى منها، ولم يَبُلْ. فلما أصبحنا أخرجناه معنا، فلما صار خارج الباب بال نحو قربة ماء، أو كما قال.

قال: وحدَّثني محمد بن أبي جعفر، قال: كان ابنُ غُلَيس يقول عن نفسه: ابن غُلَيس ما يسوى فُلَيس، رحمه الله.

---

(١) هنا ينتهي الخرم في نسخة (ع)، وانظر حاشيتنا رقم ١ ص٨٧ من هذا الجزء.

وفيها توفي قاضي دمشق محيي الدين أبو المعالي، محمد بن علي بن محمد بن يحيى القُرَشي[١]. وجميع من ذكرنا من أجداده ولوا القضاء بدمشق. وجَدُّه الأعلى يحيى بن علي بن عبد العزيز هو جد الحافظ أبي القاسم ابن عساكر لأمه، ويعرف بابنِ الصَّائغ. ذكر الحافظ ذلك في ترجمته وترجمة والده في «تاريخ دمشق»، وذكر أيضاً ترجمة ولديه محمد بن يحيى، وسلطان بن يحيى، وهما خالا الحافظ أبي القاسم، ولم يرفع في نَسَبِ أحدٍ منهم بما يتصل بأمير المؤمنين عثمان بن عَفَّان رضي الله عنه كما يَدَّعيه ذُرِيَّتُه في زماننا، ولو كان ذلك الاتصال صحيحاً لما خفي على الحافظ أبي القاسم، ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده وأمه وأخواله.

تولى أبو المعالي قضاء دمشق أولاً نيابةً عن الشيخ شَرَف الدين أبي سَعْد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، ثم تولى قاضي القضاة كل ذلك في أيام السُّلْطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله وبأمره في سنة ٣٢
[سبع وثمانين][٢] وخمس مئة، وبقي على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة في سابع شعبان، ودفن بتربته بالجبلِ.

ولما فتح صلاح الدين مدينة حلب أضاف إليه أيضاً قضاءها.

---

(١) التكملة للمنذري: ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٦، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٥، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٦٩ ـ ١٧١، طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ١٥٧ ـ ١٥٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١ ـ ١٨٢، قضاة دمشق للنعيمي: ٥٢ ـ ٥٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»: ٧٢٩ ـ ٧٣٠ محنته مع العادل، والصواب ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٦١٥ هـ ص ٣٠٤ من هذا الجزء من أن المحنة كانت مع ابنه الطاهر ابن محيي الدين.

(٢) في النسخ ما عدا (س): بياض، وفي (س): سنة سبع وثلاثين وخمس مئة، وهو خطأ، والمثبت ما بين حاصرتين من «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٩٠.

وكان عالماً صارماً، كاتباً، حَسَنَ الخَطِّ واللفظ. وهو أول مَنْ خَطَبَ بالبيتِ المقدَّس ـ شَرَّفه الله تعالى ـ لما فتحه السُّلْطان الملك النَّاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاثٍ وثمانين وخمس مئة بخطبةٍ فائقة من إنشائه قد ذكرتُها في «كتاب الروضتين»[١].

وكان بيده الأوقاف التي للجامع وغيره، ثم عُزِلَ عنها في جمادى الأولى من سنة وفاته. وتولاها شمس الدين ابن التِّيتي ضماناً. [ثم][٢] في صفر سنة أربعٍ وست مئة عزل الشمس ابن التيتي عنها، وتولاها الرشيد ابن أُخته ضماناً بزيادة ثلاثة آلاف دينار، ثم في تاسع شعبان من هذه السنة سنة أربعٍ وست مئة أبطل ضمانها، وتولاها المعتمد والي دمشق.

وكان محيي الدين قد اختلَّ في آخر عمره، وجرت له قضية[٣] مع الإسماعيلية بسبب قَتْل شخصٍ منهم يعرف بالقاقا، ولذلك فتح له باباً سراً إلى الجامع لصلاة الجمعة.

وحدثني عنه عمادُ الدين ابن الحَرَستاني، وأثنى عليه في فصاحته وحِفْظه لما يلقيه في دَرْسه. قال: وتوفي وله ثمانٍ وأربعون سنة ـ وكذا ولده الزكي الطَّاهر[٤] ـ وكان رحمه الله يحرِّض على كتابة عقيدة الغَزَّالي الملقبة بالمِصْباح، ويأمر بتحفيظ الصِّغار لها، وكذا ابنه من بعده، وكان ينهى عن الاشتغال بكُتُب المنطق والجدل، ولقد استدعى بكُتُبٍ مِنْ كانت عنده من سُكَّان مدرسته التقوية فقطعها بحضور الجمع في دَرْسِهِ بالكلَّاسة قُبالة الشُّبَّاك الصَّلاحي، ثَمَّ كان يذكر الدرس العام للتفسير، فقطعها ومالكها حاضر.

---

(١) انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٣٨٤ ـ ٣٩١.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ع) و(ك)، والعبارة مضطربة في (س).

(٣) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: قصة.

(٤) سيأتي خبر وفاته ص ٣١٨ من هذا الجزء.

قال: وكان قد تظاهر بترك ذكر نيابته عن ابن أبي عصرون، فأرسل السُّلْطانُ صلاح الدين مجدَ الدين ابن النَّحَّاس والد العماد إليه، وأمره أن يضرب على علامته في مجلسه، ففعل به ذلك، فلزم بيته حياءً من النَّاس، فطلب ابنُ [أبي] عصرون مَنْ يستنيبه، فأشير عليه بالخطيب ضياء الدين الدَّوْلعي، فأرسل إليه خِلْعةً مع البدر ابن يونس الفارقي، فردَّه وشتمه، ورَدَّ الخِلْعَة، فأرسل إلى جمال الدين ابن الحَرَسْتاني، فناب عنه وعن ابنه المحيي إلى أن عُزل.

قال: وكان قد اختلط عقله في آخر عمره، فبينا هو في داره يوماً وعنده جماعة من أكابر دمشق ثار به الخلط، فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره، فوجد بغلةً لبعض من كان عنده، فركبها، فخيف عليه، فارتدفه غلامُ صاحب البغلة، وخرج على وجهه إلى المَيْدَان، فلحقه الجماعة، فأُنزل، وضربت له خيمة[1]، وبات والناس عنده تلك الليلة، ثم أدخل من الغد، فبقي أياماً، ومات.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين [وخمس مئة][2]

وهي سنة مولدي.

ففي سَلْخ المحرَّم ليلة السبت ماجتِ النجوم في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم يُرَ هذا إلا عند مبعث النبي ﷺ، وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين، وكانت هذه السنة أعظم. قاله أبو المظفر سِبْط ابن الجوزي[3].

وقال العز بنُ تاج الأمناء: في سَلْخ المحرَّم رؤي في السماء نجومٌ متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب إلى غاية.

---

(١) في (ب) فأمر أن تضرب له خيمة، وفي (ك) و(ع): وأمر فضربت له خيمة. وفي (س): وأمر له بضرب خيمة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح. وفي هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٣) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٩ هـ).